الرد المبين
على شبه المشركين

كتبه :

محمد عوباد

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، أما بعد:

لقد رأينا جميعًا ما يجري في هذه الأيام من مظاهر الاحتفال بميلاد سيّدهم البدوي، وما يصاحبه من أنواع الشركيات التي لا تُحصى، وإظهار الكفر بالله تعالى علنًا، دون خوفٍ ولا حياء. ومع وضوح شركهم تراهم يتسترون خلف شبهاتهم الواهية التي قد ردَّ عليها أئمتنا منذ قرون، ونحن – بإذن الله – على دربهم سائرون، نتمسّك بما علّمونا وبيّنوه لنا من الحق.

وسنتناول في هذا المقال أربع شبهاتٍ تدور حولها أقوالهم، وهي أصل ما يردّدونه من ضلالٍ وشرك، وهي:

1. **حصر الشرك في الربوبية**، فيزعمون أن من أقرّ بأن الله هو الخالق الرازق المدبّر فلا يُعدّ مشركًا.

2. **حصر الشرك في عبادة الأصنام**، فينكرون أن يكون الشرك بغير الأصنام شركًا.

3. **الخلل في مفهوم العبادة**، إذ يقولون إن دعاءهم للأولياء، ونذرهم لهم، واستغاثتهم بهم ليست من العبادة.

4. **القول بعدم انطباق حكم المشركين عليهم**، بحجة أن المشركين الأوائل كذّبوا الرسول ﷺ وقالوا عن القرآن إنه سحر، أما هم فيصلّون ويصومون.

فهذه الشبهات الأربع هي أصول ضلالهم، ومن تفنيدها يتبيّن بطلان ما بنَوه من باطل، وردّ ما لبّسوا به على العوام من زخارف القول.

فسنبين بإذن الله بطلان أقوالهم وشبهاتهم الركيكة من القرآن والسنة وأقوال الأئمة.

حصر الشرك في الربوبية

نبدأ بأول شبهة وهي قولهم إن شرك محصور في الربوبية، وهذا بطلانه واضح، حيث إن من قاتلهم الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا مقرّين بما أنتم مقرّون، فقد كانوا يقولون إن الله الرازق المدبر المحي المميت، ومع ذلك قاتلهم الرسول صلى الله عليه وسلم وأقر الله بخلودهم في النار وأنهم كفار مشركون. وهذا له دلالات لا تعد ولا تحصى في القرآن الكريم، نذكر منها:

قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ [يونس: 31]

فتأمل هذه الآية، حيث قال الله تعالى لرسوله أن يقل للمشركين: "من يرزقكم ومن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت والميت من الحي ومن يدبر الأمر"، فأنظر ردهم:

"فسيقولون الله"، يعني أنهم مقرّون بأن الله هو الذي يفعل هذه الأمور.

بل هذه كانت من أكبر الحجج عليهم، فرسول الله ﷺ يسألهم: أليس الله الذي يرزقكم ويحييكم ويميتكم؟ فلماذا تدعون غيره وتسألون من غيره؟

فهذا ما تقولونه تمامًا، تقولون نحن مقرّون بربوبية الله، لكننا ندعوهم، بل وتأتون وتقولون إننا ما تقربنا إليهم ولا سألناهم إلا ليقرّبونا إلى الله، وهذا عينه مقام به إخوانكم المشركون في ذلك الزمان، حيث قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه:

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ

[الزمر: 3]

فانظر هذا عين قولكم أيضًا، وانظر جواب الله ورده عليهم، حيث كذّبهم ووصفهم بالكفر، لأن هذا الفعل، أي صرف العبادة لغير الله، ولو بزعم القُربة، هو الشرك الأكبر بعينه.

كلاكما واحد، وفعلكما واحد، بل كفركم أشد، حيث إنكم تقرؤون القرآن، وتدعون أنكم تؤمنون به، بل وتدعون أنكم حفاظ لكتاب الله، وتمرون على آية:

وأنّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا

فإن كفركم أشد منهم من هذه الناحية.

والآن بعد بيان بطلان هذه الشبهة وبيان أن فعلهم وقولهم عين ما قاله مشركو ذلك الزمان:

حصر الشرك في عبادة الأصنام

نتنقل إلى شبهتهم الثانية، حيث حصروا الشرك في عبادة الأصنام، وهذا القول لا يقوله إلا جاهل بكتاب الله وسنة رسوله، حيث لو بحثوا قليلاً لرأوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث لناس كافة، ولكل من أشرك بالله شيئًا، كان نبيًّا أو شمسًا أو قمرًا، أو لم يرو في كتاب الله قوله سبحانه وتعالى:

وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ

[فصلت: 37]

فهنا ينهى الله سبحانه وتعالى عن سجود للشمس أو للقمر لأنه خالقهما، فهذه الآية تؤكد أن العبادة لا تكون إلا لمن يستحقها، وهو الله سبحانه وتعالى، حيث قال: "وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ"، أي أنه هو المستحق.

وقال تعالى:

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ

[آل عمران: 79-80]

فهنا الآية دليل واضح على بطلان عبادة الصالحين والأنبياء والملائكة، لأن الله تعالى نفى أن يكون في شريعته أو في دعوة أنبيائه ما يجيز اتخاذهم وسائط أو أربابًا يُدعون من دون الله.

فمن دعا نبيًّا أو وليًا أو ملكًا فقد خالف ما أمر الله به في هذه الآية، ووقع في الشرك الأكبر الذي نهى الله عنه ببيانٍ جليٍّ لا لبس فيه.

وقال تعالى:

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ

[المائدة: 116–117]

فتأملوا هذه الآية، فهي الرد الصريح على دعائهم الباطل، حيث إن الله قال لرسوله: " أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ "، فانظر نهاية جوابه حيث قال: "مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ".

فهنا النهي الواضح، الذي لا ينكره إلا كافر لا يريد الحق.

والأدلة كثيرة في القرآن الكريم وسنة نبيه، من هدد سليمان عليه السلام، الذي قال :

وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ

، وايضا قول ابن عباس رضي الله عنه في تفسير:

وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا [نوح: 23]

حيث قال إنها أسماء رجالٍ صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن ينصبوا إلى مجالسهم أنصابًا وسمّوها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم، عُبدت.

والأدلة عديدة لا تحصى.

الخلل في مفهوم العبادة

وبعد بيان بطلان ادعائهم هذا يلتجئون إلى الجحد والإنكار، فيقولون إن دعاءهم للأولياء ليس بعبادة أصلًا، وهذا نبين بطلانه بإذن الله،

ونضع مقدمة لمفهوم العبادة .

أولًا: يجب أن نعلم أنه إذا ثبت أن هذا العمل عبادة فصرفه لغير الله شرك أكبر مهما كان، فكيف نثبت أنه عبادة؟ وما دلالة ذلك؟

العبادة تعرف بعدة أمور إذا ثبتت ثبت أنها عبادة، وهي:

الأمر بها: أي أمر الله بها الناس، كقوله سبحانه وتعالى: (ادعوني أستجب لكم).

بيان أجرها: أي أن الله يأجر من يعمل بها، مثل قوله صلى الله عليه وسلم: (من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا).

تعليق شيء عليها (أن يُعلّق عليها الإيمان)، مثل قوله تعالى: (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين).

مدحها أو مدح فاعلها: أي يمدح فاعل هذه العبادة، كقوله تعالى: (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات).

النهي أو الوعيد لجعلها لغير الله: وهذا واضح كقوله صلى الله عليه وسلم: (لعن الله من ذبح لغير الله)، فتبين أن الذبح عبادة.

قال تعالى:

(وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ)

[سورة المؤمنون: 117]

فسّر ابن عباس أن الدعاء هنا هو العبادة.

فإذا صُرفت أي عبادة لغير الله سقطت في هذه الآية.

والآن سيأتي المشاغبون ويقولون: إذا قلتَ هذا يعني أن كل سؤال للبشر شرك! وما إلى ذلك من ترهات تبرز جهلهم وقلة حيلتهم.

فنقول أن العبادة قسمان: محضة وغير محضة.

فالعبادة المحضة: ما طلبها **الله** ابتداء ولم تكن معروفة عند البشر، كالصلاة والصيام.

والغير محضة: ما كانت معروفة عند البشر واختصها **الله** بخواص، كالدعاء والسؤال.

فالعبادة المحضة صرفها لغير **الله** شرك أكبر، وكذلك غير المحضة، لكن بشروط، وهي: **الحضور، والحياة، والقدرة.**

ونعطي مثالًا بالدعاء:

- **أن يكون حيًا**: فإن كان ميتًا أصبح شركًا.

- **أن يكون حاضرًا حضورًا حقيقيًا أو حكميًا**، بحيث يصل إليه الكلام كالهاتف، فإن لم يكن حاضرًا، كمن يقول: "يا سيدي فلان أعني" وسيده لا يسمعه أصلًا، فهذا شرك.

- **القدرة**: فإن كان حيًا وحاضرًا وجب توفر الشرط الثالث وهو القدرة، وهي القدرة المختصة بالمخلوق بحيث كونه مخلوقا، فإن لم يكن، كمن يطلب من شخص أن يرزقه مولودًا أو صحة أو أن يرى مستقبله — وهذا مما استأثر الله به — فهو شرك.

فبعد علمنا بهذه الشروط الثلاثة علمنا أنه إذا نقص شيء واحد منها أصبح شركًا.

والآن بعد أن فصّلنا هذا الأمر، نذهب إلى العبادة التي يقومون بها ونُسقط عليها هذه الأمور:

الاستغاثة بالميت

تعريف الاستغاثة: طلب الإنقاذ بعد الوقوع في ضرر.

ثبت أنها عبادة لأن الله بيّن ثواب فاعلها، حيث قال: ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم﴾.

وهي **عبادة غير محضة** لأنها معروفة عند البشر، فنرى هل تتوفر فيها الشروط حتى لا تكون شركًا:

هل هو حاضر؟ لا.

هل له القدرة؟ لا، قال الله تعالى: ﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾.

هل هو حي؟ لا.

فهذا بيّن لنا أن استغاثتهم شرك، ودعاءهم شرك، وضع هذا في كل شركياتهم.

فقد تبين بطلان قولهم: (إن دعاءهم والاستغاثة بهم ليس عبادة).

زعم انتفاء حكم المشركين عنهم

وبعد أن تحشرهم في هذه الزاوية يهربون بآخر حججهم الواهية، وهي **القول بعدم انطباق حكم المشركين عليهم**، بحجة أن المشركين الأوائل كذّبوا الرسول ﷺ وقالوا عن القرآن إنه سحر، أما هم فيصلّون ويصومون.

فنقول: إنه لا خلاف بين العلماء أن من صدّق الرسول في كل شيء وكذّبه في شيء واحد فهو كافر مرتد، وأن من أقرّ أن الصلاة ليست واجبة عليه فهو كافر، ومن جحد شيئًا مما أنزل على نبيه فهو كافر.

وهذه العبادات ليست أجلّ من التوحيد، لأن التوحيد أصلها، ولا تُقبل إلا به، وهذا بقياس الأولى.

وقد قاتل أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم من ذهب مع مسيلمة، مع أنهم كانوا يصلّون ويصومون ويزكّون، بل وأسلموا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك كفّروهم وقاتلوهم واستحلّوا دماءهم، فكيف بمن رفع وليًّا أو شخصًا إلى مرتبة الإله وعبده؟!

ونقول أيضًا إن المشركين سابقًا كانوا يحجّون ويصومون وينذرون لله، ومع ذلك حُكم بكفرهم لفعلهم الشرك.

وقد قال الله تعالى أيضًا فيمن استهزأ بشيءٍ أنزله الله إنه كفر، حيث قال سبحانه:

(قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ)

[التوبة: 65-66]

فقد كُفّروا لمجرد استهزائهم، مع أنهم جاهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأيضًا، باب حكم المرتد الموجود في جميع كتب المذاهب الفقهية

والدلائل على هذا كثيرة.

فبهذا — ولله الحمد — نكون قد نقضنا حججهم الواهية بدلائل صريحة من القرآن والسنة.

وفي الختام نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعله سببًا في نصرة دينه وبيان توحيده، وأن يغفر لنا ولشيخنا ولعلمائنا ولجميع المسلمين، وأن يميتنا على التوحيد، ويبعثنا عليه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

اللهم اجعلنا من أهل «لا إله إلا الله» صدقًا وعملاً، ووفّقنا لنصرة هذا الدين، وثبّتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.